فريد معوض

و "جيتو" أدب الأطفال

لازال الموت يتربص بمبدعينا ويختطفهم واحدا تلو الآخر، وهم لازالوا فى ريعان شبابهم وعز عطائهم، ففى السنتين الأخيرة غيب الموت عددا من كبار مبدعينا، ليلحق بهم الأديب فريد معوض، الذى تحل ذكرى رحيله هذه الأيام، ولم يتذكره أحد، فقد رحل عن دنيانا بعد صراع طويل مع المرض، عن عمر يناهز التاسعة والأربعين وهو فى عز عطائه الإبداعى، ظل يكتب حتى آخر أيام حياته، مراهنا على مشروعه الإبداعى، ورغم أن المرض – فيروس سى – اللعين كان يهاجم جسده وينهش فى كبده منذ سنوات طويلة إلا أنه لم يشتك، ولم يلجأ لأحد بل ظل حاملا للمرض راضيا بما قسمه الله له، وأعطى كل وقته للكتابة والإبداع، وكان يقطتع من قوت أولاده للعلاج، ومنذ أكثر من عام ونصف كان قد ثقل عليه المرض، وعندما نما إلى علمى خبر مرضه اتصلت به هاتفيا، وأخبرته برغبتى فى السعى لدى أحد الأصدقاء للحصول على قرار علاج له على نفقة الدولة، ولكنه رفض بشدة، وقال لى : (الحمد لله مستورة

) وطلب منى بألا أكرر هذا مرة أخرى، واحترمت رغبته ونبل موقفه، فلم يتسول يوما بمرضه ولم يتاجر به، بل ظل صابرا محتسبا إلى أن رحل.

ولد فريد معوض بقرية سامول مركز المحلة الكبرى محافظة الغربية عام ١٩٦١، حفظ الكثير من القرآن الكريم بكتاب القرية، وكان لنشأته الدينية أثر كبير فى عشقه للغة العربية، وحبه للقراءة والتحصيل منذ الصغر، وكان نابها ينبأ بمستقبل باهر، فأكمل دراسته الإبتدائية ثم الإعدادية، ولأنه نشأ فى أسرة فقيرة فوالده كان فلاحا بسيطا مكافحا، فتعلم فريد من والده الكفاح وحب العمل وكيف يمسك بالفأس ليضرب به الأرض بقوة فتخضر، وبسبب مرض والده المبكر عمل فريد منذ صغره بأعمال الزراعة لمساعدة الأسرة، وكان قد اتجه للتعليم الفنى لذات السبب حيث حصل على دبلوم الصنايع قسم طباعة عام ١٩٨٠، وكان قارئا نهما حيث كان يلتهم كل مايقع تحت يديه من كتب، وقد استفاد فريد مثل كل أبناء القرى من الموروث الشعبى الخصب والثرى المتمثل فى حواديت الجدات والأمثال والمواويل والأغانى، وتأثر بالمنشدين الشعبيين، وعازفى الرباب الذين كانوا يتوافدون إلى القرية وأدهشه قدرة الرواة على جذب الناس إليهم، كل هذه المشاهدات والروىء والقراءات وما استمع إليه فى طفولته اختزن بداخله ليتفجر لديه ينبوع الإبداع الأدبى مبكرا،

ليصبح بعد سنوات قليلة أحد كتاب القرية بامتياز ليترك لنا ميراثا كبيرا من الإبداع القصصى والروائى وأدب الأطفال، لتتعلم منها الأجيال الطالعة.

تعرفت على فريد معوض لأول مرة عام ١٩٩١ حينما ذهبنا سويا إلى قصر السينما بالقاهرة لاستلام جوائز المسابقة المركزية لهيئة قصور الثقافة، فقد كنت فائزا بجائزة القصيدة العامية، وكان قد فاز هو بجائزة الرواية عن روايته البديعة (المرسى والأرض) أتى لتسلُّم الجائزة برفقة زوجته وكان – على ما أذكر متزوجا حديثا – عاد أدراجه – بعد تسلُّم الجائزة – إلى المحلة الكبرى، وعدت أنا إلى كفر الشيخ، وظللنا نتراسل سنوات إلى أن ألهتنا الحياة بتفاصيلها الكثيرة، وانقطعت الرسائل إلا أننى لم أنقطع يوما عن مطالعة قصصه المنشورة فى الدوريات الثقافية المختلفة، ومتابعة أعماله المنشورة فى كتب بعد ذلك، إلى أن أتيت إلى القاهرة فى منتصف عام ١٩٩٥ وعملت فى مجلة قطر الندى ليكون فريد من أوائل كتابها البارزين، وقد استمرت إبداعاته فى المجلة على مدى خمسة عشر عاما لم تنقطع، و حتى صدور العدد قبل الأخير من المجلة، ومازال لدينا الكثير من إبداعاته المتميزة والتى ستنشر تباعا، وكأنه مازال يحيا بيننا، وإن كان – رحمه الله – رحل بجسده فإبداعه مازال وسيظل باقيا، فكما قيل (من كتب لم يمت).

وكان حضوره طاغيا فى الحياة الأدبية، وشارك فى عشرات المؤتمرات داخل مصر، ولم يقل نشاطه إلا فى السنوات الأخيرة بسبب المرض.

إبداعات خاصة

وترك للمكتبة العربية العديد والعديد من الكتب، فقد صدر له فى مجال القصة والرواية مايلى : «تبات ونبات» قصص – كتاب مشترك – أدب الجماهير ١٩٨٨، «المرسى والأرض» رواية – قصور الثقافة ١٩٩٢، «عود ثقاب» قصص – هيئة الكتاب ١٩٩٢، «أيام فى الأعظمية»رواية – قصور الثقافة ١٩٩٩، «أغلى من كل الناس» قصص – سلسلة إبدع الحرية ٢٠٠٢، وله روايتان تحت الطبع هما : «أرض الهويس» فى اتحاد الكتاب و «فى وجه الريح» سلسلة إبداع الحرية.

وفى مجال أدب الأطفال صدرت له العديد من الكتب منها : ودائما تشرق الشمس، حكايتى مع الطائر، نشيد الشمس، التبة المسحورة، قصص وقطط، الحكيم وحكايات الفن، علمنا الطير، الأرض تعلمنا، أول رسالة، قصة حياة كوبرى، أم الحواديت، حكاية جدى والحصان، بستان الحكايات، زمان فى قريتى، سيناء تغنى، الديك والدجاجة.

وصدر له أيضا عددا كبيرا من سلاسل كتب الأطفال، منها : مكتبة الصيصان (لأطفال ماقبل المدرسة) من قصص النجاح،

أمير الحجر، حروف القدس، رحلة الى الأقصى، لمحات علمية.

كما كتب القصة والسيناريو والحوار للعديد من المسلسلات التى أنتجتها صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات منها : عندما غنت سيناء، التبة المسحورة، من قصص النجاح، تعالوا نكتب قصة، كما حولت بعض أعماله لدراما تليفزيونية منها : المرسى والأرض، عزاء أهل القرية، وقد رحل أثناء تصوير مسلسل (المنادى) وقيد التصوير مسلسل (وعاشت القلوب هناك).

فاز فريد بالعديد من الجوائز الأدبية فى مصر والوطن العربى، على سبيل المثال : جائزة سوزان مبارك «لعدة دورات»، جائزة أبها السعودية، جائزة الإتحاد العام للفنانين العرب عن روايته التبة المسحورة، جائزة الشارقة للإبداع العربى، جائزة يوسف السباعى، جائزة الهيئة العامة لقصور الثقافة «لعدة دورات».

ظل فريد طوال حياته مثالا للعطاء لم يبخل على أحد بنصيحة أو مساعدة، بل ظل يعطى دون انتظار المقابل، وفتح قلبه على مصراعيه، وأقام بمنزله صالونا أدبيا استمر ما يقرب من عشرين عاما قدم من خلاله العديد من الأدباء الجدد الذين يدينون له بالفضل، لتتحول « سامول « قريته الأثيرة ومسقط رأسه إلى « جيتو « أدب الأطفال بفضل صالونه الذى كان قبلة لهؤلاء الأدباء.

ومنذ مايقرب من شهرين أشتد على فريد المرض، و سعى صديقه الكاتب المسرحى محمد عبد الحافظ ناصف، لدى إتحاد الكتاب ، ليتدخل رئيسه الكاتب محمد سلماوى ويتم نقل فريد إلى معهد ناصر بقسم الكبد، وعندما علمت بخبر نقله إلى المعهد، قمت بزيارته قبل وفاته بعشرة أيام أنا والكاتبان : السيد القماحى ونشأت المصرى، صعدنا ثلاثتنا إلى الحجرة التى كان يقيم بها فى الدور الثالث لنجده برفقة زوجته و الكاتب محمد العزونى، وعندما رآنا تهلل وجهه الشاحب بالفرح، رحب بنا وصوته لا يكاد يبين، وراح يعرف بنا للعزونى، فطلبنا منه عدم الكلام لأنه كان مجهد، وظل ينظر إلينا مليا وكأنه يودعنا، قالت لنا زوجته : إنه لم ينم ليلة أمس وظل يتألم طوال الليل، وقال فريد بصوت واهن: « الدكتور عايز يكتب لى خروج بكره وأنا لسه تعبان». قلنا له : لا تخف سنذهب إلى مدير المعهد ولن تخرج حتى تتماثل للشفاء، طمأنا فريد وانصرفنا جميعا متجهين لمكتب مدير المعهد هبطنا فى الأسانسير إلى الدور الأرضى، فلم نجد سوى نائب المدير شاب وسيم بشوش شرحنا له حالة فريد وقلنا له إنه أحد كتاب مصر الكبار، فكيف يخرج قبل أن يتماثل للشفاء تماما، كنا غاضبين ولكن الدكتور ببشاشته امتص غضبنا ووعدنا بأنه سيبعث له حالا الدكتور المختص لكى يقرر حالته بالضبط، ولو كانت حالته ليست مستقرة سيظل بالمعهد حتى تستقر،

خرجنا من باب المعهد لنجد أمامنا محمد عبدالحافظ ناصف، فى طريقه لزيارة فريد، أخبرناه بما حدث وقال لنا : اطمئنوا إننى سأتابع الحالة مع الدكتور، والحقيقة أن ناصف كان لايترك فريد طوال فترة تواجده فى المعهد، بل كان دائم التردد عليه ملبيا له كل مطالبه، خرجنا من المعهد فى طريقنا لاتحاد الكتاب، وأنا موقن أننى لن أرى فريد مرة أخرى، فقد كانت حالته فى غاية السوء، وبالفعل ظل فريد فى المعهد عدة أيام بعد هذه الزيارة، عاد بعدها إلى سامول، فاشتد عليه المرض مرة أخرى، فنقل إلى المبرة بالمحلة الكبرى، لتفيض روحه الطاهرة إلى بارئها، رحم الله الكاتب الإنسان فريد محمد معوض.

★ نشر فى جريدة القاهرة ٢٦ يوليو ٢٠١١

openkandil.com